وجرح ستمئة وسبعة وستين مدنيا عربيا . كما تزعم الجريدة ان الفدائيين خسروا ، في العام والمدينة نفسيهما ، واحدا وسبعين قتيلا والفين ومئتين وتسعة عشر أسيرا . أما المصادر العربية في غزة فانها تؤكد ان خسائر الاسرائيليين هي اضعاف ما يعترفون به ، وان نصف القتلى العرب انما سقطوا تحت رصاص الاسرائيليين بدون تمييز وكرد فعل سريع وانتقام لاعمال المقاومة . وذكرت لي مصادر أجنبية ، حيادية ، في غزة ان عدد المواطنين في القطاع الذين اوقفوا او اعتقلوا او وضعوا تحت الاقامة الجبرية يزيد على عشرة الاف مواطن في اربع السنوات التي مضت على الاحتلال ، وان عدة الاف من هؤلاء لا يزالون رهن الاعتقال . ويصف اهل غزة الحياة تحت الاحتلال بأنها «جحيم». ولكنهم يؤكدون انهم غير مستعدين ان يستسلموا للاسرائيليين كثمن لحصولهم على « حياة عادية » تحت العلم الاسرائيلي. والواقع ان تدابير اسرائيل الانتقامية كانت قاسية منذ بدء الاحتلال . الا انها بلغت اقصاها في مطلع العام الحالي ، مستغلة مقتل طفلين وجرح امهما في هجوم فدائي بالقنابل اليدوية . فقد ارسلت الى القطاع ، اثر الحادث ، امدادات من بوليس الحدود ، واعلن منع شامل للتجول في مخيم الشاطىء ، وعزل المخيم ونواح من المدينة بأسلاك شائكة . « اما ما تلا ذلك فمما لا يصدقه عقل » كما قال لي طبيب في غزة . « اخذ رجال بوليس الحدود يطاردون الناس رجالا ونساء وصبيانا وبنات ، بدون تمييز ، ويضربونهم بالعصي ويجلدونهم بالسياط ». واطلقت الدوريات الرصاص في الشوارع وقتلت خمسة على الاقل وجرحت العشرات . وفي حادث واحد ، اطلق البوليس فيه رصاصهم على باص مزدحم ، جرح خمسة . ونهبت البيوت في مخيم الشاطىء عندما قام الجنود ببحث عن الاسلحة و« المخربين » ، ونسف عدد منها . واعتقل المئات من الاشخاص . وابعد المئات من العائلات الى معسكرات الاعتقال في سيناء . ويقول بعض ابناء المدينة ان عدد الذين لا يزالون معتقلين في هذه المعسكرات في سيناء يتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسمئة واربعة آلاف شخص . لكن المصادر الاسرائيلية الرسمية لا تعترف الا بألف ومئتي معتقل . ولا تكاد توجد عائلة واحدة في القطاع لم تضرر ولم تقاس ، مباشرة ، من نتائج الاحتلال الاسرائيلي ، بفقدان فرد من افرادها ، قتيلا او سجينا او مبعدا او موقوفا ، او صريع رصاصات الجنود الطائشة . ويقاسي السكان كلهم من جراء الوضع الاقتصادي المنهار منذ اربع سنوات . وبينما يشد الاغنياء احزمتهم ويخسرون فرص الرفاهية السابقة يعاني الفقراء من الفاقة ، وبينهم من مضى عليه وقت لم يأكل فيه وجبة كاملة. والاكل في مخيمات النازحين ، حيث يقيم ثلثا سكان القطاع ، اقل بكثير من مستوى التغذية الاساسية المطلوب . وبسبب نقص المخصصات اضطرت وكالة الاغاثة (الاونروا) في اواخر ١٩٧٠ الى تقليص الحصص الموزعة على النازحين والى حذف بعض الاصناف الاساسية بحيث حرم النازحون من سبيلهم الوحيد الى البروتينات ، ونقص نصيب الفرد اليومي من الوحدات الحرارية من ١٥٠٠ الى ما يتراوح بين ٩٠٠ و١٠٠٠ . وافظع من ذلك كله ، كما قالت لي ام لاربعة اطفال ، هو الشعور بأن الامور لن تتحسن « بل انها تسير من سيء الى أسوا . ويصبح الوضع في كل يوم جديد اشد صعوبة وقسوة من الامس » .

ومن الطبيعي ان امهات غزة يعنين بأطفالهن وينشغل بالهن عليهم ، لاضطراب حياتهم المستمر. فهم يعيشون في خوف دائم من « الرجل حامل البندقية » . واشدهم هلعا هم الذين شاهدوا وحشية حرس الحدود في الشهرين الاولين من هذا العام . ويقاسي الاطفال اكثر من الكبار من اعلانات منع التجول حيث يمنع خروجهم من خيمهم او اكواخهم مدة عشرين ساعة متواصلة . وتتقطع دراستهم باستمرار، بسبب منع التجول والتظاهرات والاضرابات والعقابات . وحدث وانا في غزة ان كان ألف طالب مضربين . وقال لي احد المسؤولين عن التعليم ان المدارس في القطاع فتحت في العام ١٩٧٠ مئة يوم فقط .

وبينما يسخر الاسرائيليون من مقاومة غزة ويزعمون انها عديمة الفعالية، يشير اهالي غزة بأن قطاعهم هو المنطقة الوحيدة تحت الاحتلال التي لا يجرؤ اسرائيلي واحد على سكناها . « اننا لا نتوهم اننا نستطيع ان نحرر القطاع بأنفسنا . الا اننا منعنا ونمنع تحقيق الامر الواقع في المنطقة ، وحميناها ارضا عربية » كما قال لي شاب من دير البلح . « ان الجهاد في دمنا . وحتى لو صفى العدو تسعين بالمئة من السكان لن نستسلم . علينا ان ندافع عن ارضنا وتراثنا وحضارتنا » .